Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 5 | Page 301 – 321 | 2024
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

تناظر الجُمَل في القرآن الكريم
دراسة في الأسلوب والدلالة

The Symmetry of Sentences in the Holy Qur'an:
A Study in Style and Meaning

منير عبده أنعم

باحث – قسم اللغة العربية

كلية التربية – جامعة صنعاء – اليمن

سمية طه علي عبدالله الجعفري

باحثة – قسم اللغة العربية

كلية اللغات – جامعة صنعاء – اليمن

Moneer Abdo Ana'am

Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Education, Sana'a University. Sana'a University -Yemen

Researcher/ Sumaya Taha Ali Abdullah Al-Jaafari

PhD student in rhetoric and criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Languages, Sana'a University.Sana'a University -Yemen

الملخص:

تناول هذا البحث الجمل المتناظرة في القرآن الكريم، بالنظر في سياقات الآيات المتناظرة في الجمل الاسمية والفعلية، وربط الآيات بعضها ببعض، واستنباط الترابط الأسلوبي والبلاغي في الآيات المتناظرة وسياقاتها، والكشف عن مقاصدها وتحولاتها المختلفة، مع بيان الاختلافات السياقية التي صاحبتها ومناسبتها لأحوال الخطاب القرآني.

وهدف هذا البحث إلى إبراز أسلوبية الآيات المتناظرة في الجمل الاسمية والفعلية من حيث الخصائص التركيبية، والدلالية، مع تحليل كل خاصية من هذه الخصائص وبيان التماسك والترابط في مواضع الجمل المتناظرة لسياقاتها المتعددة، والكشف عن وجه جديد للتناسب والتناسق في آيات القرآن الكريم، مع بيان جوانب الدقة والجمال في مواضع تناظر الجمل، وبيان التغيرات الأسلوبية التي صاحبت تلك الجمل وتناسباتها الدلالية، بما يمكن عدّه دليلًا آخر يؤيد الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ويقدم تفسيرًا جديدًا للدرس البلاغي.

وجاء هذا البحث في ثلاثة مباحث، الأول: الجمل الاسمية المتناظرة، والثاني: الجمل الفعلية المتناظرة، والثالث: ما تناظرت فيه الجمل الاسمية والفعلية معًا، وذيل بخاتمة بينت أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج، ومنها:

- احتوى التركيب القرآني للجمل المتناظرة نمطًا خاصًّا في أسلوبه ونظمه، ودلالاته؛ فجاء تارة للمدح وأخرى للذم، وتارة للتشنيع والتنبيه والتحذير، أو للتقرير والتوكيد، أو التخصيص وغيره، فكان أن أضاف للمعنى والدلالة ما يعاضده ويقويه.

الكلمات المفتاحية: التناظر، الجمل الاسمية، الجمل الفعلية.

Abstract:

This research focuses on symmetrical sentences in the Holy Qur'an, examining the contexts of corresponding verses in both nominal and verbal forms. It aims to connect these verses, deducing the stylistic and rhetorical coherence within them and their contexts, while also revealing their various purposes and transformations. The study highlights the contextual differences that accompany these verses and their appropriateness within the framework of Qur'anic discourse.

The primary objective of this research is to illuminate the stylistic features of symmetrical verses in nominal and verbal sentences, analyzing their structural and semantic characteristics. It seeks to demonstrate the coherence and consistency among these symmetrical sentences across diverse contexts, unveiling a new perspective on proportionality and harmony within the verses of the Holy Qur'an. Additionally, it aims to highlight the precision and beauty found in the symmetry of these sentences, alongside the stylistic shifts that accompany them and their semantic relationships. This exploration serves as further evidence supporting the rhetorical miracle of the Holy Qur'an and offers a new interpretation of its rhetorical lessons.

The research is divided into three sections: the first examines symmetrical nominal sentences, the second focuses on symmetrical verbal sentences, and the third explores instances where nominal and verbal sentences correspond. The study concludes with a summary of its key findings, including: The Qur'anic structure of symmetrical sentences reveals a distinct pattern in style, systems, and connotations. These sentences serve various functions, such as praise, condemnation, warning, reporting, or specification, thereby enriching their meaning and significance.

Keywords: symmetry, nominal sentences, phrasal sentences.

المقدمة

تتجلى أهمية هذا البحث في أنه يدرس مواضع مجيء الجمل المتناظرة في أكثر من سياق قرآني، رأسيًّا وأفقيًّا، ذلك أن الجمل القرآنية التي تكررت في سياقات مختلفة اتخذت تلونات جديدة، وأنتجت دلالات إضافية ومختلفة عن نظيراتها في السياقات الأخرى، مما يبرز جانباً من جوانب إعجاز القرآن الكريم في هذا النوع من الترددات الأسلوبية في سياقاتها المختلفة، ومعرفة مناسبة كل سياق للتغير الحاصل فيه.

ويهدف البحث إلى بيان أوجه الفرق أو الاختلاف بين السياقات التي ترددت فيها جمل اسمية أو فعلية متناظرة في القرآن الكريم، بما يتوافق مع الأحوال والمواقف التي وردت فيها؛ للكشف عن دلالات هذا التنوع الأسلوبي في هذه الظاهرة القرآنية، وينمّ عن الطاقات الدلالية المتجددة مع كل سياق تتردد فيه هذه الجمل.

- **مصطلحات البحث:**

– تعريف التناظر:

التناظر لغة مأخوذ من الجذر (نَظَرَ)، وهو في معناه يرتبط بالرؤية والإبصار، ويراد بالتناظر: "التقابل"[1]. و"النظير المثل، وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك؛ لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء.. وجَمْعُ النَّظِير نُظَرَاءُ، والأُنثى نَظِيرَةٌ، والجمع النَّظائر في الكلام والأَشياء كلها، وفي حديث ابن مسعود: لقد عرفتُ النَّظائِرَ التي كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يَقُومُ بها عشرين سُورَةً من المُفَصَّل؛ يعني سُوَرَ المفصل سميت نظائر لاشتباه بعضها ببعض في الطُّول.. والنَّظائِرُ: جمع نَظِيرة وهي المِثْلُ والشِّبْهُ في الأَشكال والأَخلاق والأَفعال والأَقوال.."[2] مما سبق نجد أن التناظر في اللغة يقوم على التأمل والتقابل الثنائي بين قسمين متماثلين أو متعاكسين أو متوافقين، بحيث يكون بين هذه الأجزاء المتناظرة تناسقًا أو تناغمًا أو انسجامًا.

ولم يضع العرب القدماء تعريفًا مستقلًا للتناظر، وإنما درسوه ضمن مؤلفاتهم، ولم يفرد بمصطلح، إنما اكتفوا بتطبيقه، أمثال الطوسي، والعسكري. ومن المحدثين فقد عرفه الرواجفة بأن التناظر: "يعنى به تناغم وتناسق وتكامل الأجزاء حول عنصر تناظر، إلى حد أن يكون التركيب متناسبًا ومتوازنًا[3]. فالتناظر يراد به التناغم والتناسق في التراكيب، بحيث تتكامل الأجزاء فيها، وينتج عن ذلك التكامل التناسب والتوازن.

–تعريف الجملة: الجيم والميم واللام أصل، وأجمل الشيء جمعه بعد تفريقه، والجملة الجماعة من الناس، ويحمل معنى الكثرة أيضًا[4]. وقيل لكل جماعة غير منفصلة جملة، ومنه أخذ النحويون الجملة لمركب من كلمتين أسندت إحداهما للأخرى[5]، يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ الفرقان32. وجاءت الجملة في اصطلاح النحاة بقولهم[6]: "الكلام والجملة ما تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد". وهو ما التقت عنده غالبية تعريفاتهم.

[1]) ينظر: لسان العرب: ج5، مادة (نظر)، ص215.وينظر: القاموس المحيط، مادة (نظر)، ص623.
[2]) ينظر: لسان العرب: ج5، مادة (نظر)، ص215.
[3]) نظرية المجموعات (الزمر) والتناظر في القرآن الكريم: تناظر السور: ص13.
[4]) ينظر: لسان العرب: مادة (جمل)، ج11، ص123.
[5]) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: مادة (جمل)، ج28، ص238.
[6]) النحو الوافي: ج1، ص6.

- **منهج البحث:** اتخذ البحث طريقة التحليل الأسلوبي للجُمَل المتناظرة في القرآن الكريم، ومقارنتها بنظائرها المتكررة في سياقاته المختلفة، وبيان الفروقات السياقية التي صاحبت تلك **الجُمَل، وكيف لاءمت سياقها الجديد الذي وردت فيه.**

- **توطئة**

توافق علماء النحو واللغة على تقسيم الجملة العربية إلى ركنين أساسيين هما: المسند إليه والمسند، فالمسند إليه هو المبتدأ والفاعل، أما المسند فهو الفعل والخبر. وتتكون الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر، والفعلية من الفعل والفاعل، وكلاهما تحوي المسند إليه والمسند. وتدل الجملة الاسمية في عُرف علماء البلاغة على الثبوت وتمام الأمر وتمكنه، أما الفعلية فعلى الحدوث والتجدد والاستمرار.

وجاءت الجمل الاسمية والفعلية المتناظرة في القرآن الكريم متعددة المعاني والدلالات ومعبرة بأساليب دقيقة متكاملة، فكان أن قدمت المراد مترابطًا ومتوافقًا مع سياق كل آية. وهذا التنوع لم يأت بطريقة اعتباطية؛ بل هو نظم مبني على الجانب الدلالي الموحي بعديد المعاني. وهو ما اتصفت به الآيات المتناظرة في سياق الجمل الاسمية والفعلية، وفيما يأتي بيان ذلك:

- **المبحث الأول: الجمل الاسمية المتناظرة**

تُعرف الجمل الاسمية بتصدرها للاسم، فكل جملة ابتدأت باسم هي جملة اسمية، وهي تبنى على ركني الإسناد المبتدأ والخبر، وهما ركناها الأساسيان، وقد وردت الآيات المتناظرة في الجمل الاسمية في عدة مواضع من القرآن الكريم، بحيث ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالدلالة التركيبية لسياق الآيات؛ ومن ذلك قوله تعالى:

1. ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ** فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا **وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ** فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ الأنعام: 160.
2. ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ** فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ(89) **وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ** فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(90)﴾ النمل
3. ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ** فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا **وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ** فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ القصص: 84.

ابتدأت الآيات بأسلوب الشرط في قوله: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ)، وكذلك في وصف السيئة: (وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ)، وهو جزاء ثابت لكل من أتى بخصلة منها بالمضاعفة للحسنة، والمثل للسيئة، وهي هنا للجنس؛ أي جاء بها أو غلبت عليه.

وتناظرت آية القصص مع آية النمل في الجزء الأول منها: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ) في فعل الشرط)، وجوابه الذي اقترن بالفاء: (فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا)؛ وحذف الحسنات وجاء بـ(خَيْرٌ) على الأفضلية؛ إذ أراد الزيادة؛ زيادة الأجر والعطاء. واختلفت مع آية الأنعام في ذلك: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ)؛ إذ كان الجواب: (فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) والذي اقترن بالفاء أيضًا؛ وحذف الحسنات وذكر الأمثال مكانها.

ففي الأنعام جاء السياق في ذم المشركين وتشنيع عملهم، وتنبيه وتحذير المسلمين من تفريق دينهم بأخذ بعضه وترك بعضه، وبيان مغبة ذلك، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام: 159.

روي عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال لعائشة: "(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً) إنما هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة وأنا بريء منهم وهم منا برآء[7]".

فناسبت الآية سياق ما قبلها، فالجزاء من جنس العمل لما في الدنيا، فيجازى صاحب الحسنة أيًا كانت بعشر من أمثالها: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)، والسيئة بمثلها: (وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا)، ولا يُظلم أحدًا: (وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ).

وثمة تناسب آخر في وجه المجيء بالعدد (عشر أمثالها) ولم يذكره في الآيات المناظرة لها في سورتي النمل والقصص؛ لأنه ذكر المكسب والخسارة في السياق السابق: (أو كسبت في إيمانها خيرًا)، في قوله تعالى: "يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت خيرًا" فناسب ذكر العدد ما يقابله من معاني المكسب والخسارة في السياق السابق له.

وفي النمل كان الحديث عن يوم القيامة، والنفخ في الصور، وفزع الكائنات: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ(87)﴾؛ فجاءت الآية موضحة ذلك، ومبينة حسن الجزاء والأمان من فزع ذلك اليوم لمن جاء بالحسنة: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) وصور هذا المصير بالمهانة والذلة والحقارة حال مجازاة المذنب به: (وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّار)، وبين أن كل جزاء جاء نتيجة كسب الإنسان وعمله: (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)، فتناسب ذلك وسياق الآية.

أما في القصص فكان الحديث عن العوض الجميل والجزاء الحسن في الآخرة لمن تواضع وترك صفة التكبر والتعالي على خلق الله، وتورّع عن الفساد في الأرض، وذلك في سياق قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ القصص: 79. التي بينت اغترار من أحب الدنيا بما امتلك قارون، فكان أن خسف الله به وبداره الأرض، وهو ما جعل من تمنى مكانه يعي أن الله سبحانه لا يجعل للكافرين من الفلاح نصيب: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ القصص: 82. ثم بينت الآيات العاقبة الحسنة في الآخرة: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص: 83، وهو ما توافق وسياق الآية التي بينت أن جزاء الحسنة خير منها: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا)، والمِثْل لمن عمل السيئات: (وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). فوافقت كل آية السياق والعرض لما قبلها.

ومما تناظرت فيه الجمل الاسمية قوله تعالى:

1. ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ** وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 146.

[7]) الجامع لأحكام القرآن: ج7، ص150.

2. ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ** الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام: 20.

وردت الآية الأولى –آية البقرة– في سياق الحديث عن أحبار اليهود والنصارى الذين أنكروا معرفتهم للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم، وذلك "أن الكفار سألوا اليهود والنصارى عن صفة محمد –عليه الصلاة والسلام– فأنكروا دلالة التوراة والإنجيل على نبوته، فبيّن الله تعالى في الآية الأولى أن شهادة الله على صحة نبوته كافية في ثبوتها وتحققها، ثم بيّن في هذه الآية أنهم كذبوا في قولهم أنا لا نعرف محمدًا؛ لأنهم يعرفونه بالنبوّة والرسالة كما يعرفون أبناءهم، لما روي أنه لما قدم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام: أنزل الله على نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة؟، فقال يا عمر: لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني، ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني؛ لأني لا أدري ما صنع النساء وأشهد أنه حق من الله تعالى[8]".

فالذين أعطاهم الله – سبحانه وتعالى– التوراة والإنجيل من أحبار اليهود وعلماء النصارى يعرفون أنَّ محمدًا ﷺ رسول الله بأوصافه المذكورة في كتبهم، كمعرفتهم بأبنائهم، وفي قوله: (يَعْرِفُونَهُ)، لم يصرح باسم المفعول (محمد ﷺ)، أي: يعرفون محمدًا كما يعرفون أبناءهم، وفي عدم التصريح بالمفعول تشريف وتعظيم لرسول الله ﷺ، فهو معلوم بغير إعلام.

وفي قوله: (وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)؛ تخصيص لبعض الذين أوتوا الكتاب بعدم جهلهم، بل لأنهم يكتمون ما يعرفونه من كتبهم عن نبوة محمد ﷺ، وصِدْقه، وثبوت أوصافه؛ فكتمانهم للحق مع علمهم أنه حق، قبح منهم، ومذمة لهم.

كذلك في آية الأنعام التي تحدثت عن علماء اليهود والنصارى، وبينت علمهم ومعرفتهم بالنبي محمد ﷺ وجحدهم تلك المعرفة، وما ذلك إلا لخسرانهم أنفسهم، فهم لا يؤمنون حتى مع علمهم ويقينهم بذلك، فقد طبع الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون: (الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ).

والوجه في اختلاف هذا السياق في آية الأنعام ووصف أهل الكتاب بالخسران وعدم الإيمان أنه سبق بسياق مناظر له تناظرًا كليًا في الآية رقم (12) في الحديث عن المشركين: (الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) الأنعام 12، فقد اتفق الفريقان المشركين وأهل الكتاب في عدم الإيمان، فكان مآل ذلك إلى خسرانهم.

ومنه قوله تعالى:

1. ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ الفتح: 4.
2. ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ الفتح: 7.

ورد التناظر في الجمل الاسمية في هذه الآيات في سورة الفتح؛ إذ جاءت الآية الأولى في سياق الحديث عن الطمأنينة وإنزال السكينة على قلوب المؤمنين ليزداد إيمانهم: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ). فالسياق مبينًا العلم والحكمة لله؛ لذلك ختمت به الآية الأولى.

بينما جاءت الآية الثانية بعد قوله تعالى: (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً(5) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

[8]) مفاتيح الغيب: ج12، ص148.

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً(6)، فكانت العزة والغلبة والحكمة له سبحانه، فناسب في هذا الموضع.

ومما تناظرت فيه الجمل الاسمية قوله تعالى:

1. ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا** وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فصلت46
2. ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا** ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ الجاثية: 15.

تناظرت وتقابلت الجملة الاسمية في صدر الآيات، واختلفت في فاصلتها، وقد وردت الآية الأولى في سياق الحديث عن قدرة الله ومغفرته الواسعة وعقابه الشديد: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ فصلت43، فناسب ذلك الختام بالتأكيد على عدله فهو لا يعذب أحدًا إلا بذنبه، ولا يقع منه الظلم لأحد.

أما في الآية الثانية فجاء السياق عن الجزاء في اليوم الآخر: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الجاثية: 14، وهو ما وافق الفاصلة في هذه الآية بأن بين أن الرجعى إليه بعد أن يعمل كل مخلوق عمله في هذه الدنيا، ثم يجزيهم بعد ذلك.

ومثل ذلك قوله تعالى:

1. ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ** افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ النساء: 48.
2. ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ** ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ النساء: 116.

حيث تناظرت الآيتان دون فاصلتهما في سورة النساء؛ وجاء سياق الآية الأولى في الحديث عن أهل الكتاب وأصحاب السبت منهم، وبيان عادتهم وطبعهم وافترائهم، وتهديدهم بالعقاب في الدنيا، وإخبارهم أن الله سبحانه يغفر ويتجاوز عن سيئات من آمن وعاد إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً﴾ النساء47 ، لذلك كان مجيء الفاصلة بقوله: (فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) أبلغ وأنسب للمقام؛ حيث "نُبّهوا[9] على أنّ الشرك من قبيل الافتراء تحذيراً لهم من الافتراء وتفظيعاً لجنسه".

بينما جاء الخطاب في الآية الثانية موجهًا للمسلمين، ومنبهًا ومحذرًا لهم من الوقوع في الشرك الذي هو من الضلال: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ النساء: 113، فكان الختام بقوله: (فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً) آكد وأجمل، وفي استعارة البعد بيان بأن الضلال هنا مما لا يرجى منه عودة، فهو تيه وضياع.

وقد أطلق سبحانه مغفرته لمن يشاء عدا الشرك، والغفران تجاوز وعفو، وهو ما أكده الإخبار بالجملة الاسمية في هذه الآية؛ أي أن الغفران لا يمكن مع الشرك، وهذا ثابت لا تراجع فيه.

كذلك جاء تناظر الجمل الاسمية في قوله تعالى:

1. ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ **أَيْدِيكُمْ** وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ آل عمران: 182.

[9]) تفسير التحرير والتنوير: ج5، ص202.

2. ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ **أَيْدِيكُمْ** وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ الأنفال: 51.
3. ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ **يَدَاكَ** وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ الحج: 10.

حيث تناظرت الآيات السابقة كاملة؛ إلا ما جاء في قوله: (أَيْدِيكُمْ) في آل عمران والأنفال بالجمع، والتثنية في الحج بقوله: (يَدَاكَ)؛ وقد ارتبط ذلك ارتباطًا وثيقًا بسياق الآيات؛ إذ جاءت الآيات السابقة لآيتي آل عمران والأنفال متحدثة بصيغة الجمع، من ذلك قوله في آل عمران: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾آل عمران181، وقوله في الأنفال: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(49) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ(50)﴾، فناسب ذلك مجيء (أَيْدِيكُمْ) بالجمع؛ لأن المخاطب للجمع.

بينما في الحج جاءت بصيغة المثنى: (يَدَاكَ)؛ لأن السياق في موضعه جاء متحدثًا بالإفراد: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ(8) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ(9)﴾؛ إذ نجد هذه المفردات: (يُجَادِلُ- ثَانِيَ عِطْفِهِ- لِيُضِلَّ- لَهُ- وَنُذِيقُهُ) جاءت بصيغة المفرد، وكذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(5)﴾. ولكل فرد يدان، فكان المجيء بصيغة المثنى أبلغ لتناسبها وسياق الآية.

وذكرت الأيدي هنا مجازًا؛ لأن الفعل مرتبط بعمل الإنسان لا اليد التي هي آلة الفعل، وأكثر ما يباشر الإنسان عمله باليد، فكان إسناد الفعل إليها أبلغ.

وجاءت (ظَلَّامٍ) بصيغة المبالغة للفعل، نفيًا لظلمه – حاشاه سبحانه؛ وفي نفي الظلم عنه سبحانه دلالة على عدله، وأن الجزاء سيكون من جنس العمل، يقول ابن عاشور[10]: "ونفي (ظَلَّامٍ) بصيغة المبالغة لا يفيد إثبات ظلم غير قوي؛ لأنّ الصيغ لا مفاهيم لها، وجرت عادة العلماء أن يجيبوا بأنّ المبالغة منصرفة إلى النفي كما جاء ذلك كثيراً في مثل هذا، ويزاد هنا الجواب باحتمال أنّ الكثرة باعتبار تعلّق الظلم المنفي، لو قدر ثبوته، بالعبيد الكثيرين، فعبّر بالمبالغة عن كثرة إعداد الظلم باعتبار تعدّد أفراد معموله. والتعريف باللام في (الْعَبِيدِ) عوض عن المضاف إليه، أي: لعبيدِهِ كقوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات41. ويجوز أن يكون (الْعَبِيدِ) أطلق على ما يرادف الناس كما أطلق العباد في قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ يس30".

وجاءت في سور القرآن آيات متناظرة عدة احتوت على ألفاظ دالة على معانٍ متقاربة تحمل في طياتها تفاعلات بلاغية متجانسة، منها ما جاء في وصف الحياة الدنيا:

1. ﴿وَمَا **الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ** وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام: 32.

[10]) تفسير التحرير والتنوير: ج10، ص42.

2. ﴿وَمَا هَذِهِ **الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ** وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت: 64.
3. ﴿إِنَّمَا **الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ محمد: 36.
4. ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا **الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الحديد: 20.

جاء التناظر في الآيات السابقة واصفًا دار الحياة الدنيا باللعب واللهو؛ (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ)، (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ)، (إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ)، (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ).

حيث قُدم اللعب على اللهو في الأكثر؛ واللعب زمانه الصبا، أما اللهو فزمانه الشباب، وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب. وفي ذلك أيضًا: "تنبيه على أن اشتغالهم باللعب الذي معناه الذهول والغفلة والسخرية والاستهزاء مُعَلَّل باللهو الذي معناه الذهول، فإنهم إنما أقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق[11]". بينما قُدم اللهو على اللعب في سورة العنكبوت؛ لإرادة سرعة الانقضاء وقلة البقاء في الدنيا وازدرائها وتحقيرها، فكان التقديم أبلغ فيها.

ولما كان المذكور هناك من قبل الآخرة وإظهارهم للحسرة، ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فأخر الأبعد اللهو: (لَعِبٌ وَلَهْوٌ)، وأما ههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق فيها، اللهم إلا لمانع يمنعه من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها، ولعاصم يعصمه فلا يشتغل بها أصلاً، فكان ههنا الاستغراق أقرب من عدمه فقدم اللهو فقال: (لَهْوٌ وَلَعِبٌ)[12].

واللهو واللعب حركتان من حركات جوارح الإنسان، وهما حركتان عبثيتان لا فائدة منهما، وفيهما انصراف عن الحق وانشغال به؛ وهذا هو مثل الحياة الدنيا. والإنسان العاقل هو الذي يستثمر هذه الحياة فيما يعود عليه بالنفع في آخرته، فيجعلها حياة ذات منهج رباني وقيم عالية تورثه نعيمًا باقيًا لا يزول، فينال بذلك عطاءً أُخرويًا ممتدًا.

ووردت الآية الأولى في سياق الحديث عن الساعة وعاقبة المشركين وحسرتهم على ما فرطوا في الحياة الدنيا، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ(30) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ(31)﴾.

وجاءت آية الأنعام بعد قول المشركين: ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29)﴾، فكان الرد بهذه الآية بأسلوب القصر والذي جاء بالاستثناء بـ(ما– إلا) وهو قصر موصوف على صفة حيث أكد بطلان قولهم، وأن الخير في الدار الآخرة لمن أفلح في دنياه.

[11]) اللباب في علوم الكتاب: ج13، ص449.
[12]) ينظر: مفاتيح الغيب: ج25، ص81.

وكذلك في بقية الآيات جاء الوصف للحياة الدنيا بأسلوب القصر؛ حيث جاءت آية العنكبوت مقصورة بالاستثناء بـ(ما– إلا)، وآية محمد والحديد بـ(إنما)، وجاء سياق العنكبوت يتحدث عن تحقير الحياة الدنيا وبيان قصر مدتها بالنسبة للآخرة، وهو ما أكده قوله سبحانه: (لَهِيَ الْحَيَوَانُ)؛ حيث لم يقل: لهي الحياة؛ بل قال: (لَهِيَ الْحَيَوَانُ) "لِمَا في بناء فَعَلاَن من معنى الحركة والاضطراب. وفي الحيوان: مبالغة في الحياة، كما قيل: للموت الكثير مَوَتَان[14]".

أما في آية محمد (القتال) فكان الحصر فيها دالًّا على التحقير لأمر هذه الدنيا، وحث على الجهاد في سبيل الله، وعلى إنفاق الأموال بإعطاء الزكاة وإخراجها، وهي قليلة مقابل المال كله، والأجر والمثوبة عائدة على صاحبها، فالعطاء ربح لا خسران فيه.

وفي الحديد افتتح سبحانه الآية بـ(اعْلَمُوا)؛ اهتمامًا بالمتقدَم، وبيانًا لوجوب التفات الذهن كلية إلى هذا الخطاب والبيان، وجاء الخطاب للمؤمنين الغافلين على طريقة الالتفات. فكان الأمر بالعلم من أجل أن يجتهد الإنسان في التأمل والتفكر، في حال هذه الدنيا، حتى يتبين له أمرها، وما هي عليه من الزوال، وأنها ليست سوى محطة عبور للدار الآخرة، لذلك وجب الاستعداد والتزود بالخير لها: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ البقرة: 197.

وجاء فيها التشبيه التمثيلي لحال الدنيا في قوله: (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ...)؛ حيث مثل الحياة الدنيا في سرعة انقضائها، وانتهائها، وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث ثم ما لبث أن صار حطامًا كأن لم يكن، وفيه تشبيه لحال الدنيا وإعجاب الكفار بزينتها، والتلهي بها عن الآخرة، وجاء وجه الشبه منتزع من متعدد.

ونجد أن حال الغالب من الناس اللهو واللعب في هذه الحياة؛ وجاءت جميع الآيات التي وصفت حال الدنيا باللعب واللهو بصيغة الجملة الاسمية، وهو ما يدل على ثبات هذه الصفة للحياة الدنيا، وإثبات للناس بأنه لا ينجو منها إلا من تزكى. "وذم رجل الدنيا عند عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه– فقال: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها[15]".

كذلك في الآية إيحاء بقِصَر فترة الحياة الدنيا، وأنها فترة قصيرة كحلم أو كساعة، كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ الأحقاف: 35.

وفي "الإخبار عن الحياة بأنها لعب ولهو على معنى التشبيه البليغ، شُبهت أحوال الحياة الدنيا باللعب واللهو في عدم ترتب الفائدة عليها لأنها فانية منقضية والآخرة هي دار القرار. وهذا تحذير من أن يحملهم حب لذائذ العيش على الزهادة في مقابلة العدّو ويتلو إلى مسالمته، فإن ذلك يغري العدّو بهم[16]".

ومن الآيات المتناظرة في الجمل الاسمية قوله تعالى:

1. ﴿**إِنَّكَ** لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ(80) وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ(81)﴾ النمل.
2. ﴿**فَإِنَّكَ** لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ(52) وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن

[14]) البحر المديد: ج5، ص325.
[15]) الجامع لأحكام القرآن: ج6، ص414.
[16]) تفسير التحرير والتنوير: ج26، ص133.

ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ(53)﴾ الروم.

تناظرت آيتا النمل مع الروم تناظرًا تامًا، مع اختلاف بداية كل آية؛ فجاء في النمل (إِنَّكَ) دون عطف، وفي الروم (فَإِنَّكَ) بالعطف بالفاء السببية؛ وجاءت هنا للتعليل؛ إذ كان ما قبلها سببًا لما بعدها، وفي ذلك استعارة بينت استحالة سماع الكفار للدين والبراهين، فكأنهم موتى في عدم تفاعلهم وموت إحساسهم، فشبهوا بالكفار الموتى في ذلك، فحالهم ميؤوس منه، فالنتيجة لذلك غير ممكنة ولن تتحقق.

وجاءت آية النمل في سياق التسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم– بعد إعراض الكفار وإنكارهم واستهزائهم بما جاء به: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ النمل: 79، ولم يستدعِ المقام التعليل، لذلك لم تأت الفاء مقترنة بـ(إِنَّكَ) كما في الروم.

بينما كان سياق آية الروم مبينًا ظهور الفساد وانتشاره، وإعراض الناس عن دين الله، وهو ما استدعى العطف بالفاء تعليلًا لذلك، فانتشار الفساد والعصيان سبب لشقائهم وموت قلوبهم وانغلاق أذهانهم وأسماعهم. يقول سبحانه: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾الروم41

ومما تناظر في جمله الاسمية قوله تعالى:

1. ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ** وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آل عمران: 185.
2. ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء: 35.
3. ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت: 57.

تناظرت الآيات في مواضعها السابقة في قوله: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)، وجاءت الآية الأولى في سياق التسلية والتصبير للمؤمنين على مصابهم يوم أحد، وردًا على المنافقين المحبطين للمسلمين: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ آل عمران: 168؛ إذ أكدت الآية المتناظرة من آل عمران حال كل نفس ومآلها الثابت والمستقر. وكان التنكير للعموم وهو ما سوغ الابتداء بها؛ أي: لا يستثنى من ذلك أحد. والذوق يقتضي الوجود، فكل كائن موجود ذائق للموت.

وفي آية الأنبياء تحدث سياقها عن استحالة الخلود في الدنيا لبشر، وفي ذلك رد على الشامتين بموت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول سبحانه في الآية السابقة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ الأنبياء34، فجاءت هذه الآية للرد على المشركين والتأكيد لما بعدها التي خاطبت المؤمنين لتعليمهم. يقول الزمخشري في ذلك[17]: "كانوا يقدّرون أنه سيموت فيشمتون بموته، فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا، أي : قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشراً، فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت، فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء؟ وفي معناه قول القائل:

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا

سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا".

[17]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ج3، ص117.

أما في العنكبوت فجاءت في سياق الأمر بالحرص على عبادة الله في أرضه الواسعة، وبيان أهمية ذلك، ووجوب الحرص والاهتمام به؛ لأن العاقبة لا بد منها، فكان التزود والاستعداد لها أمرًا يتطلب الاجتهاد فيه والسعي له، وطلبه أينما كانت الفرصة ممكنة: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ العنكبوت: 56.

فكانت الصيغة الاسمية مبينة أن هذا الأمر ثابت وواقع لا محالة، فكثفت الآية المعنى الدال على ذلك، وبينت ثبوته واستمراريته على كل البشر، وهو ما لم يكن ليفي المعنى حقه لو جاء بصيغة مخالفة للاسمية.

- **المبحث الثاني: الجمل الفعلية المتناظرة**

للجملة الفعلية دور بارز في تكثيف المعنى واستمراريته، فجاءت الآيات المتناظرة للجمل الفعلية في القرآن الكريم تحمل في طياتها دلالات متعددة توحي بالحدوث والتجدد في معانيها، ومن ذلك قوله تعالى:

1. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ **اتَّقُواْ رَبَّكُمُ** الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء: 1.
2. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ **اتَّقُوا رَبَّكُمْ** إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الحج: 1.
3. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ **اتَّقُوا رَبَّكُمْ** وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ لقمان: 33.
4. ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا **اتَّقُوا رَبَّكُمْ** لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر: 10.

وردت الجمل الفعلية في الآيات السابقة بصيغة الأمر؛ إذ تناظرت في قوله: (اتَّقُوا رَبَّكُمْ)، وجاء الخطاب بالنداء والأمر عام لجميع المكلفين، باتقاء غضب الله باجتناب المحرمات، وتوحيده وتنزيهه وعمل الواجبات التي كلفهم بها وأمرهم بالتزامها. فبالتقوى يقي الإنسان نفسه ويحميها من أي عقوبة ربانية قد تحل به.

قال بعض المفسرين: "ابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة بالعطف على النساء والأيتام، وذكر فيها أحكاماً كثيرة، وبذلك ختمها، ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس والطِّبَاع، افتتحها بالأمر بالتقوى المشتملة على كل خير، واعلم أنه تعالى جعل الافتتاح لسورتين في القرآن:

أحدهما: سورة النساء وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن، وعلل الأمر بالتقوى فيهما بما يدل على معرفة المبدأ بأنه خلق الخلق من نفس واحدة، وهذا يدل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وحكمته.

والثانية: سورة الحج وهي الرابعة أيضاً من النصف الثاني من القرآن وعلَّل الأمر بالتقوى فيها بما يدل على معرفة المعاد. فَجَعَلَ صدر هاتين السورتين دليلاً على معرفة المبدأ والمعاد، وقدّم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد، وهذا سر عظيم"[18].

وتختلف السياقات التي وردت فيها كل آية؛ إذ جاءت آية النساء في سياق تحذير المؤمنين من التهاون أو التساهل في حقوق الأرحام. واستحضار اسم الله العلم هنا دون ضمير يعود إلى ربّكم: (وَاتَّقُواْ اللّهَ)؛ "لإدخال

[18]) اللباب في علوم الكتاب: ج6، ص139- 140.

الرّوع في ضمائر السامعين؛ لأنّ المقام مقام تشريع يناسبه إيثار المهابة بخلاف مقام قوله: (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) فهو مقام ترغيب[19]"، فكان الأمر الأول بالتقوى للترغيب، والثاني للترهيب، أي: اتق الله واتق مخالفته؛ فهو رقيب مطلع عليكم شديد العقاب عظيم الجزاء. وقد ابتدأت سورة النساء بهذه الآية التي بينت كمال قدرة الله وسعة حكمه وتدبيره.

وفي آية الحج أيضًا جاء الأسلوب الإنشائي الطلبي في النداء والأمر عام للمؤمنين وأهل الكتاب والمشركين.

كذلك في آية لقمان حيث جاء الخطاب عامًا للناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم، آمرًا لهم بالتقوى، وأن يجعلوا بينهم وبين ما يضرهم حماية ووقاية تكون حاجزًا بينهم والنار. وبين لهم هول ذلك اليوم، وهول ما فيه، حتى أنه لا ينفع الوالد ولده ولا الابن أباه، وهو يوم مخيف النظر عن الجزاء فيه.

إلا أن النداء قد اختلف في الزمر فقد اختص بالذين آمنوا، بعد تخصيص التذكر بأولي الألباب:﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (9)

ومن ذلك قوله تعالى:

1. ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة38
2. ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه: 123.

وردت كلا الآيتين بعد ذكر قصة آدم عليه السلام، وجاءت جملة الشرط في قوله سبحانه: (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) في آية البقرة، وفي آية طه جاءت بقوله: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ)، وفي الموضعين بشرى لمن عمل بهدى الله واتبعه وثبت عليه، وإنذار لمن لم يتبع هداه بالخوف والحزن والضلال والشقاء.

وفي الآيتين شرطان أجيبا بجواب واحد؛ والشرطان في آية البقرة: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى) و(فَمَن تَبِعَ هُدَايَ)، وجوابهما: (فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ). وفي آية طه الشرطان: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي) و(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ)، وجوابهما: (فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى).

وكرر الأمر في البقرة في قوله: (قُلْنَا اهْبِطُواْ) للتأكيد على كون بعضهم لبعض عدو: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36): "على جهة التغليظ وتأكيده، كما تقول لرجل: قم قم، وقيل: كرر الأمر لما علق بكل أمر منهما حكما غير حكم الآخر؛ فعلق بالأول العداوة، وبالثاني إتيان الهدى. وقيل: الهبوط الأول من الجنة إلى السماء، والثاني من السماء إلى الأرض، وعلى هذا يكون فيه دليل على أن الجنة في السماء السابعة كما دل عليه حديث الإسراء[20]"، بينما لم يكرر في آية طه.

وفي مجيء (تَبِعَ) في البقرة، و(اتَّبَعَ) في طه؛ أنه – والله أعلم– جاءت في خمسة مواضع في سورة طه بلفظة (اتبع) وهو ما ناسب السياق فيها، يقول الكرماني: "تبع واتبع بمعنى، وإنما اختار في طه (اتَّبَع) موافقة لقوله تعالى: (يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ) طه 108[21]".

19) تفسير التحرير والتنوير: ج4، ص217.
20) الجامع لأحكام القرآن: ج1، ص327.
21) البرهان في متشابه القرآن: ص121.

وهناك لطيفة أخرى أنه عبّر في سورة البقرة بالجمع (اهبطوا) وفي سورة طه بالمثنى (اهبطا)؛ لأن الضمير في سورة البقرة يعود مباشرة إلى الثلاثة (آدم وزوجته وإبليس) دون فاصل: (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه، قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو)، بينما في سورة طه عاد الضمير في (اهبطا) إلى آدم وإبليس)، فقد حصل فاصل بين حدث الأكل من الشجرة وجملة الهبوط بقوله تعالى: (وعصى آدم ربه فغوى* ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) ثم قال: (قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو) فكان مناسبًا أن يعود الضمير إلى اثنين دون الثالث.

ومنه قوله تعالى:

1. ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ** بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ التوبة: 32– 33.
2. ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ** بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ الصف: 8– 9.

جاءت الآيتان المتناظرتان في سورتين مدنيتين، وذلك في سياق الحديث عن "رؤساء اليهود والنصارى، وبيان بعض من أفعالهم القبيحة، وهو سعيهم في إبطال أمر محمد عليه الصلاة والسلام. والمراد من (النور قال الكلبيُّ: هو القرآن، أي: يردُّوا القرآن بألسنتهم تكذيباً. وقيل: النور: الدَّلائل الدَّالة على صحة نبوته وشرعه وقوة دينه. وسمى الدلائل نوراً؛ لأنَّ النور يهتدي به إلى الصَّواب[22]". فكان الدين نورًا، ومحاولة الصد عنه إطفاءً.

فقوله في التوبة: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ)، وفي الصف: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ) هذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ **أَن يُعَذِّبَهُم** بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة85 وقوله: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ **لِيُعَذِّبَهُم** بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة55؛ "حذف اللام من الآية الأولى؛ لأن مرادهم إطفاء نور الله بأفواههم، والمراد الذي هو المفعول به في الصف مضمر؛ تقديره: ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ليطفئوا نور الله، واللام لام العلة، وذهب بعض النحاة إلى أن الفعل محمول على المصدر؛ أي: إرادتهم لإطفاء نور الله[23]".

وهناك لطائف أخرى في التناظر نفسه، الحاصل بين الآيتين، في تكرار (**يُطْفِؤُوا**)؛ لأن الإطفاء أقوى في معناه مما لو قال مثلًا:(يغطّوا–يستروا)، إذ إن إطفاء النور إزالة لجميع مظاهره، الذي يعقبه الظلام، وتلك محاولاتهم الحقيقية، وليس مجرد التغطية أو الستر.

كما تكررت أيضًا عبارتا (كره الكافرون) و(كره المشركون)، فالكفر والشرك لهما ارتباط مباشر بالمعتقد الديني؛ إذ الكافر لفظ عام لكل جاحد بالله أو بآياته في أي زمان أو مكان، والمشرك خاص بالذي يتخذ مع الله شريكًا في أي زمان أو مكان، فدل المعنى أن نور الله ماضٍ ولو حاول هؤلاء جميعًا. كما يُلحظ مجيء لفظ (المشركون) في الآية الثانية في السياقين مع قوله: (أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى)؛ لأن مشركي مكة هم أول من حاول إطفاء نور الله بأفواههم بعد بلاغ النبي محمد –عليه الصلاة والسلام– لهم، فكانوا هم

[22]) اللباب في علوم الكتاب: ج10، ص75.

[23]) البرهان في متشابه القرآن: ص210.

المعنيّين بالآية بالدرجة الأولى، ثم يدخل في حضيرتهم كل مشرك إلى يوم القيامة.

كما دلّ تكرار لفظ (كره) ليعمق فكرة أقل ما يمكن عمله للوقوف أمام نور الله ولو (بالكره) القلبي، فما بالك بالأفعال التي يمارسونها في الحيلولة دون نور الله.

وفي مجيء التعبير بالجملة الفعلية بيان بأن هذا حالهم المتجدد، وسلوكهم المستمر، وهدفهم الدؤوب، والله متم نوره، مطلع على عملهم ومحاولاتهم، ولن يفلحوا مهما حاولوا واستمروا.

ومما يلحظ في الآيتين أنه عندما قال في آية التوبة: (أَن يُطْفِؤُواْ) قال: (أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) بالجملة الفعلية التي بينت الاستمرارية في تجدد وحدوث إتمام الله لنوره على رغم استمرارية محاولاتهم إطفائه، وعندما قال في آية الصف: (لِيُطْفِؤُوا) قال: (مُتِمُّ نُورِهِ) على الجملة الاسمية التي أفادت ثبوت التمام واستقوائه.

ومنه قوله تعالى:

1. ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ **اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ** مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾ البقرة: 35.
2. ﴿وَيَا آدَمُ **اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ** مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: 19.

جاء الأمر في هاتين الآيتين المتناظرتين في قوله: (اسكن) دون عطف، والأمر في: (كلا) معطوفًا على حالتين: بالواو في البقرة، وبفاء التفريع في الأعراف، والعطف بالواو أعم. كذلك جاءت الآية الأولى (آية البقرة) مفصلة أكثر منها في آية الأنعام: (قلنا– منها رغدًا)، وتوافقتا فيما بقي.

والمراد بالسكون جاء بمعنى الإقامة، "وإنما الذي في البقرة من السكون الذي عناه الإقامة (وذلك يستدعي زمانًا ممتدًا)، فلم يصح إلا بالواو (وكلا)؛ لأن المعنى أجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها. ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة، لأن الفاء للتعقيب والترتيب. والذي في الأعراف من السكنى الذي معناها: اتخاذ الموضع مسكنًا، لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً﴾ الأعراف: 18، وخاطب آدم فقال: (اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)؛ أي: اتخذاها لأنفسكما مسكنًا، (فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا) فكانت الفاء أولى؛ لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانًا ممتدًا، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه، بل يقع الأكل عقبه. وزاد في البقرة (رَغَدًا) لما زاد في الخبر تعظيمًا بقوله: (وَقُلْنَا)، بخلاف سورة الأعراف، فإن فيها (قَالَ). والخطيب ذهب إلى أن ما في الأعراف خطاب لهما قبل الدخول، وما في البقرة بعد الدخول"[24].

أفادت آية البقرة امتنان الله على آدم بسكنى الجنة والتمتع بثمارها؛ وذلك في مقام تذكير بني إسرائيل بفضل آدم وذنبه وتوبته، والتحذير من كيد الشيطان، مع ذكر إكرامه لآدم.

وفي مجيء ضمير الفصل (أنت) بعد الأمر (اسكن) " زيادة التّنكيل بإبليس؛ لأن ذكر ضميره في مقام العطف يذكر غيره بأنّه ليس مثله، إذ الضّمير وإن كان من قبيل اللقب وليس له مفهومُ مخالفةٍ فإنّه قد يفيد الاحتراز عن غير صاحب الضّمير بالقرينة على طريقة التعريض، ولا يمنع من هذا الاعتبار في الضمير كون إظهاره لأجل تحسين أو تصحيح العطف على الضّمير المرفوع المستتر؛ لأن تصحيحَ

[24]) البرهان في متشابه القرآن: ص119.

أو تحسين العطف يحصل بكلّ فاصل بين الفعل الرافع للمستتر وبين المعطوف، لا خصوص الضّمير، كأن يقال: ويا آدم اسكن الجنّةَ وزوجُك، فما اختير الفصل بالضّمير المنفصل إلاّ لما يفيد من التّعريض بغيره[25]".

كما أن هناك تناظرًا متطابقًا بين لفظتي (الظالمين) في السياقين؛ إذ لم يقل مثلًا (النادمين– الخاسرين) أو ما شابه من الألفاظ، إنما خصهما بـ(الظالمين) لأن عصيان أوامر الله ظلم وتجاوز عن الحد، وهو ظلم للنفس أولًا، ففي سورة الأعراف عن آدم وزوجه: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: 23.

فناسب أن تكون فاصلة الآتين بـ(الظالمين).

وقوله تعالى:

1. ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ **فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً** قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ البقرة: 60.
2. ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ **فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً** قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف: 160.

جاء في آية البقرة قوله تعالى: (فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)، وفي الأعراف: (فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)؛ والانفجار: يأتي بمعنى انصباب الماء وتدفقه بكثرة من مكان واسع، بينما الانبجاس: فيعني ظهور الماء أو خروجه من مكان ضيق، وهو أخف من الانفجار وسابق له، فكل انبجاس انفجار، وليس العكس[26]. وقد عبّر بهما القرآن الكريم ليدل كما ذكر الشعراوي على المرحلية " فقد تكلم الحق عن المراحل التي أعقبت الضربة في لقطات متعددة لمظهر واحد، له أوليّة وله آخريّة"[27]".

والبعض رأى أنهما مترادفان بمعنى واحد.

يقول أبو حيان: " قيل: هما سواء، انفجر وانبجس وانشق مترادفات. وقيل: بينهما فرق، وهو أن الانبجاس هو أوّل خروج الماء، والانفجار اتساعه وكثرته. وقيل: الانبجاس خروجه من الصلب، والانفجار خروجه من اللين. وقيل: الانبجاس هو الرشح، والانفجار هو السيلان، وظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد؛ لأن الآيتين قصة واحدة[28]".

ومما تناظرت فيه الجمل الفعلية قوله تعالى:

1. ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا** إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم34
2. ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا** إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النحل: 18.

ومما تناظرت فيه الجمل الفعلية قوله تعالى:

1. ﴿أَوَلَمْ **يَرَوْا** أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الروم: 37.
2. ﴿أَوَلَمْ **يَعْلَمُوا** أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الزمر: 52.

جاء قوله: (أَوَلَمْ يَرَوْا) في الروم، وقوله: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا)، مع تناظر بقية الآيات؛ وذلك أن بسط الرزق مما يشاهد ويرى فجاء في الروم على ما يقتضيه اللفظ والمعنى. بينما في الزمر اتصل بقوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ

25) تفسير التحرير والتنوير: ج8، ص53- 54.
26) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ج9، ص352.
27) تفسير الشعراوي: ج7، ص4396.
28) تفسير البحر المحيط: ج1، ص390.

عَلَى عِلْمٍ﴾ وبعده ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر 49 فحَسُنَ (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا)[29].

وكذلك "جاءت ألفاظ الرؤية والنظر في سورة الروم أكثر منها في الزمر، وألفاظ العلم في الزمر أكثر منها في الروم؛ إذ وردت ألفاظ الرؤية والنظر في الروم سبع مرات وفي الزمر ست مرات، بينما وردت ألفاظ العلم في الزمر إحدى عشرة مرة وفي الروم عشر مرات. فاستحقت الروم لفظ الرؤية والزمر لفظ العلم[30]".

من الجمل الفعلية المتناظرة قوله سبحانه:

1. ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ **ثُمَّ انظُرُواْ** كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ **الْمُكَذِّبِينَ**﴾ الأنعام: 11.
2. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ **فَانظُرُوا** كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ **الْمُجْرِمِينَ**﴾ النمل69

جاءت الجمل الفعلية المتناظرة في الآيات السابقة تحمل اختلافًا في موضعين، ولكل موضع دلالة تبرر هذا الاختلاف، ففي الأنعام جاء قوله: (ثُمَّ انظُرُواْ)؛ بالعطف بـ(ثم)، وذيلت الآية بـ: (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)، بينما في آية النمل جاء قوله: (فَانظُرُوا)، بالعطف بالفاء، وذيلت الآية بـ: (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ).

ومعلوم عمل كل أداة من أدوات العطف؛ فالفاء للتعقيب، وثم للتراخي، فعندما ارتبط النظر بعاقبة المكذبين كان التراخي بثُم، وعندما ارتبط بعاقبة المجرمين كان التعقيب بالفاء، فالمكذب قد يعطى مهلة ويتراجع عن تكذيبه، بخلاف المجرم الذي استفحلت فيه الصفة وتعمقت، "والمكذب قد تعطى له مهلة أطول من مهلة المجرم؛ فإن المجرم ينبغي أن يؤخذ بجرمه على وجه التعقيب، ولذا جاء مع (الْمُكَذِّبِينَ) بثم ومع المجرمين بالفاء، فاقتضى ختام كل آية الحرف الذي اختير لها[31]".

كذلك جاءت آية الأنعام بعد ذكر القرون في قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ الأنعام6، فقوله: (كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ)، وقوله: (وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ)؛ "فأمروا باستقراء الديار، وتأمل الآثار، وفيها كثرة، فيقع ذلك بسير بعد سير، وزمان بعد زمان، لذلك خصت بـ(ثم) الدالة على التراخي بين الفعلين؛ ليعلم أن السير مأمور به على حدة، وأن النظر بعده مأمور به على حدة، ولم يتقدم في سائر السور مثلها فخصت بالفاء الدالة على التعقيب[32]".

- **المبحث الثالث: ما تناظرت فيه الجمل الاسمية والفعلية معًا**

ومن الآيات المتناظرة ما جاء التناظر فيها بالصيغة الاسمية مرة والفعلية أخرى؛ ومن ذلك قوله تعالى:

1. ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ **مُهْلِكَ الْقُرَى** بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ الأنعام: 131.
2. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ **لِيُهْلِكَ الْقُرَى** بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود: 117.
3. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ **مُهْلِكَ الْقُرَى** حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ القصص: 59.

جاءت آية الأنعام والقصص بالصيغة الاسمية: (مُهْلِكَ الْقُرَى)، وجاءت آية هود بالفعلية: (لِيُهْلِكَ الْقُرَى).

29) البرهان في متشابه القرآن: ص301.
30) التعبير القرآني: ص178.
31) التعبير القرآني: ص187.
32) البرهان في متشابه القرآن: ص166.

وقد ورد سياق الآية الأولى –آية الأنعام– متحدثًا عن إرسال الله الرسل إلى الإنس والجن كافة: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾ الأنعام: 130، وهذه حالة دائمة لعدله سبحانه ورحمته بعباده ورجائه لهم الخير والصلاح ورفقه بعباده وإمهاله إياهم، فلم يكن ليهلكهم قبل أن ينذرهم. وهو ما ناسب مجيء الصيغة الاسمية لـ(مُهْلِكَ)؛ التي أظهرت الثبات على هذا الحال وهو انتفاء إهلاك القرى وأهلها غافلون، فينذرهم بإرسال الرسل وفي ذلك إقامة للحجة عليهم، ثم الجزاء الحسن لمن آمن وصدق، والهلاك لمن أعرض وكذب.

كذلك في آية القصص حيث جاءت هذه الآية تفصيلًا وتوضيحًا لما قبلها؛ بأنه سبحانه لم يكن مهلك قرية إلا بعد إنذارها بإرسال الرسل إليها: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص: 58، فهذا أمر ثابت دائم وحل لكل من أنذر وأعرض، فجاءت الصيغة الاسمية لدلالتها الثبوت والدوام.

بينما وردت آية هود بالصيغة الفعلية التي تدل على الاستمرار والتجدد، وهو ما أيده السياق وقواه، خاصة باقتران لام الجحود بالفعل (لِيُهْلِكَ)؛ فالأمم جميعها تهلك ويأتي غيرها، وسنة الله في هذا ماضية ومستمرة لجميعها. فبين السياق أن إهلاك القرى لم يكن بسبب كفرهم فقط؛ بل كان كفرهم وفسادهم سببًا في ذلك، وهو ما بينته الآية السابقة لهذه الآية في قوله: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ هود: 116، فلو كان بينهم مصلحون ما أهلكهم.

يقول الدمشقي في ذلك: "لمَّا بيَّن أنَّ الأمم المتقدمين حلَّ بهم عذاب الاستئصال، بيَّن أنَّ السبب فيه أمران؛ الأول: أنه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الأرض، فقال: (فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ). والثاني: أنَّها مصدرٌ بمعنى البقوى؛ قال الزمخشريُّ: ويجوزُ أن تكون البقيَّة بمعنى البَقْوَى كالتقيَّة بمعنى التَّقوى، أي: فهلا كان منهم ذوو إبقاءٍ على أنفسهم، وصيانةٍ لها من سخطِ الله وعقابه. والمعنى: فهلاّ كان منهم أولوا مراقبة وخشية من انتقام الله[33]".

والمعنى: "أنه تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم، ولهذا قال الفقهاءُ: إنَّ حقوق الله مبناها على المسامحة، وحقوق العباد مبناها على التَّضييقِ ولا شح، ويقال: إنَّ الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظُّلم، ويدلُّ على هذا التأويل أنَّ قوم هود وصالح ولوط وشعيب إنَّما نزل بهم عذابُ الاستئصال، لما حكى الله تعالى عنهم من إيذاءِ النَّاس وظلم الخلق وهذا تأويل أهل السنة. وقالت المعتزلة: إنَّهُ تعالى لو أهلكهم حال كونهم مصلحين لكان ظلماً، ولمَّا كان متعالياً عن الظلم، لا جرم أنَّهُ إما يهلكهم لأجل سُوء أفعالهم. وقيل: معنى الآية: أنَّهُ لا يُهلكُهُمْ بظلم منه، وهم مُصْلِحونَ في أعمالهم، ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السَّيئات، وهذا بمعنى قول المعتزلة[34]".

ومنه قوله تعالى:

1. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ **يُنفِقُونَ**﴾ البقرة: 3.

[33]) اللباب في علوم الكتاب: ج10، ص596- 597.

[34]) للباب في علوم الكتاب: ج10، ص599.

2. ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ **وَالْمُنفِقِينَ** وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ آل عمران: 17.

ورد الإنفاق بالصيغة الفعلية في القرآن الكريم في 28 موضعًا، وفي موضع واحد بالصيغة الاسمية في آل عمران: (وَالْمُنفِقِينَ)، وبما أن الإنفاق أمر يتجدد ويحتاج استمراره الحدوث دومًا فقد ورد بالصيغة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد، بينما الموضع الوحيد الذي ورت فيه بالاسمية فقد دل على الثبوت؛ لأنه ورد في سياق وصف المؤمنين، والإنفاق صفة ثابتة فيهم.

ومنه ما جاء في سورة الكافرون، قال تعالى:

1. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(1) لَا **أَعْبُدُ** مَا **تَعْبُدُونَ**(2)﴾ الكافرون

2. ﴿وَلَا أَنتُمْ **عَابِدُونَ** مَا أَعْبُدُ(3) وَلَا أَنَا **عَابِدٌ** مَّا **عَبَدتُّمْ**(4) وَلَا أَنتُمْ **عَابِدُونَ** مَا أَعْبُدُ(5)﴾ الكافرون

ابتدأ سبحانه السورة بالأمر لنبيه بالقول للاهتمام بالمقول ولفت انتباه المخاطب، وفي النداء بـ(يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) تحقير لهم، وبيان بأنهم قد نُسبوا إلى الكفر فلا أمل منهم، وفي ذلك أيضًا إغضاب لهم وتقليل من شانهم، فهم وإن تعالوا يأتي القرآن وينزلهم منازلهم التي يستحقونها.

وفي مجيء قوله: (أَعْبُدُ) بالصيغة الفعلية، وقوله: (عَابِدٌ) بالاسمية، نفي من الرسول –صلى الله عليه وسلم– لعبادته الأصنام بالصيغتين الاسمية والفعلية للماضي والمضارع: (عَبَدتُّمْ– تَعْبُدُونَ)، ونفي عن الكافرين العبادة الحقة بصيغة واحدة مرتين هي الصيغة الاسمية: (وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ).

ومعنى ذلك أنه نفى عبادة الأصنام عن نفسه في الحالتين الثابتة والمتجددة في جميع الأزمنة وهذا غاية الكمال؛ إذ لو اقتصر على الفعل لقيل: إن هذا أمر حادث قد يزول، ولو اقتصر على الاسم لقيل: صحيح أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناه أنه مستمر على هذا الوصف لا يفارقه، فإن الوصف قد يفارق صاحبه أحيانًا، بل معناه أن هذا وصفه في غالب أحواله. فلما خاطبهم بالصورة الاسمية قائلًا: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) نفى عنهم العبادة الحقة بالصورة الاسمية أيضًا فقال: (وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ). فإنهم لما اتصفوا بكفرهم على وجه الثبات نفى عنهم عبادة الله على وجه الثبات أيضًا. وهو تناظر جميل[35].

- **ومما جاء متناظرًا بالصيغة الاسمية والفعلية في الآية الواحدة:**

قال تعالى:

– ﴿وَمَا كَانَ اللهُ **لِيُعَذِّبَهُمْ** وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ **مُعَذِّبَهُمْ** وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الأنفال: 33.

حيث جاء في آية الأنفال: (لِيُعَذِّبَهُمْ) بالصيغة الفعلية مقترنًا بلام الجحود، و(مُعَذِّبَهُمْ) بالاسمية؛ "وذلك أنه جعل الاستغفار مانعًا ثابتًا من العذاب بخلاف بقاء الرسل بينهم؛ فإنه –أي العذاب– موقوت ببقائه بينهم. فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية والحالة الموقوتة بالصيغة الفعلية. فيرفع العذاب عنهم باستغفارهم ولو لم يكن وصفًا ثابتًا فيهم[36]".

فكان التأكيد للنفي (وَمَا كَانَ اللهُ) عند الجملة الفعلية دالًّا على استمرارية بعدهم عن العذاب طالما والنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– فيهم، وفي ذلك مكرمة لنبيه وتكريم له وبيان لمكانته. وعند الاسمية كان إثباتًا لنجاتهم باستغفارهم؛ وفيه دليل على أن في الاستغفار نجاة: "قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب: النبي –صلى الله عليه وسلم– والاستغفار، فلما مات

[35]) ينظر: التعبير القرآني: ص29.

[36]) التعبير القرآني: ص26.

النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الأمان الواحد وبقي الآخر، والمقصود من الآية: بيان ما كان الموجب لإمهاله لهم والتوقف على إجابة دعائهم، وهو وجوده –صلى الله عليه وسلم– أو من يستغفر فيهم[37]".

- **الخاتمة:**

وردت الجمل المتناظرة في القرآن الكريم تحمل في طياتها دلالات ومعان مكثفة ومتعددة، فاشتركت الجمل الاسمية في دلالتها على الثبات والدوام، والفعلية على الحدوث والتجدد؛ وذلك عند دراسة الآية وسياقاتها المختلفة، وربط السياقات المتناظرة ببعضها البعض واستنباط دلالاتها المختلفة والمتعددة. وقد خلص هذا البحث إلى عدة نتائج، أبرزها:

- احتوى التركيب القرآني للجمل المتناظرة نمطًا خاصًا في أسلوبه ونظمه، ودلالاته؛ فجاء تارة للمدح وأخرى الذم، وتارة للتشنيع والتنبيه والتحذير، أو للتقرير والتوكيد، أو التخصيص وغيره، فكان أن أضاف للمعنى والدلالة ما يعاضده ويقويه.
- جاءت الجمل الفعلية المتناظرة أكثر من الجمل الاسمية؛ ولعل ذلك يرجع إلى أن دلالة الجمل الفعلية أوسع من الجمل الاسمية، فالحدوث والتجدد مرتبط بالزمن، أما الاسمية فلا ترتبط بالزمن، وإنما حالها الثبات دومًا.
- وردت الجمل الاسمية المتناظرة في سياقاتها المتعددة دالة على ألفاظ ومعان متقاربة حملت في طياتها تفاعلات بلاغية وأسلوبية متجانسة، أوحت جميعها بحصول الأمر وتحققه وثباته، وكأنه قد تم وتحقق.
- جاءت الآيات التي تناظرت في جملها الفعلية مكثفة في معانيها، وناقلة إلينا دلالات ومعاني متعددة، امتلأت بالحركة والتغيير والتجدد، وتناغمت مع السياق الذي وردت فيه، والذي لم يكن ليكتمل دونها.

–أما ما تناظرت فيه الجمل الاسمية مع الفعلية فجمعت بين الثبات والتجدد، وناسب كل سياق ما جاء فيه، فكانت الاسمية التي تقتضي الثبات والاستقرار ملائمة في موضعها، وكذلك في الفعلية التي ناسبت سياقها الذي دلّ على الاستمرار والتجدد، فكانت بذلك أبلغ من غيرها لو وضعت مكانها.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

[1] البحر المديد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، 2002م.

[2] البرهان في متشابه القرآن: الإمام محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، قدم له وراجعه على أصوله وقوم نصوصه وبينه وعقب عليه ووسع فهارسه: أحمد عز الدين عبدالله خلف الله، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1411هـ – 1991م.

[3] تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بالمرتضى الزَّبيدي، دار الهداية، د.ط، د.ت.

[4] التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.

[5] التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان– الأردن، ط4، 1427هـ– 2006م.

[6] تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق د. زكريا

[37]) البحر المديد: ج3، ص37.

عبد المجيد النوقي– د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، 1422 هـ– 2001م، ط1.

[7] تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، مصر، د.ط، 1991م.

[8] الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت 671هـ)، تحقيق: هشام سمير بخاري، دار عالم الكتب، الرياض– المملكة العربية السعودية، د.ط، 1423هـ– 2003م.

[9] القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 2005م

[10]اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود– والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1419هـ –1998م.

[11]لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت– لبنان، ط1، د.ت.

[12]مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1421هـ– 2000م.

[13]النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط4، د.ت.

[14]نظرية المجموعات (الزمر) والتناظر في القرآن الكريم (تناظر السور): أيمن عيد الرواجفة، مجلة الأطروحة، دار الأطروحة للنشر العلمي، العدد 1، السنة 4، كانون الثاني 2019م.